المحاضرة الرابعة

الحضارة الفينيقية (3000 – 334 ق.م) نشأتها – الفنون والعلوم.

تمهيد

الفينيقيون هو الاسم الذي أطلقه قدماء الإغريق على الإقليم الذي تحتله الآن المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وفلسطين المحتلة، ويمثل النَّهر الكبير الحدود الشمالية له، بينما يشكل جبل الكرمل حدوده الجنوبية. كذلك تحده جبال لبنان من الشرق والبحر المتوسط من الغرب.

لا يُعرف تحديدًا أصل كلمة فينيقيا؛ ويبدو أنها قد تطورت من كلمة كنعان، التي تعني بلاد الأرجوان[1] وهو الاسم الذي أُطلق في البدء على بلاد سوريا وفلسطين .كانت كنعان مصدرًا مهمًا للأرجوان الأحمر. يعتقد بعض الناس أن الإغريق ربما استخدموا لفظة فوينيك التي تعني الأرجوان الأحمر إشارة إلى المجموعة التي كانت تُتاجر معهم في هذا الأرجوان لكن هناك من لا يقبل هذا التأويل. وفي النهاية أصبحت لفظة فينيقيا، اسمًا للشريط الساحلي لبلاد كنعان.

كان الفينيقيون من أشهر شعوب العالم القديم، فقد كانوا بحارةً مهرة وملاّحين وتجارًا. وقد سجل لهم التاريخ إنجازين: كانوا من أوائل من أرسلوا مكتشفين وأقاموا مستعمرات على امتداد منطقة البحر الأبيض المتوسط وما وراء مضيق جبل طارق.

تاريخ الفينيقيين :احتل الكنعانيون منطقة بلاد الشام الواقعة بين البحر المتوسط و بلاد الرافدين، فسيطروا على معظم جزر البحر المتوسط حتى امتدت مستعمراتهم من قرطاج في شمال أفريقيا إلى كورسيكا و جنوب إسبانيا. أطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيون Phoenix الذي يحمل معنى الأرجوان نسبة إلى اكتشافهم للصباغ الأرجواني. ضمت مستعمرات الفينيقيين بعض المدن الواقعة على الساحل السوري الممتد من أقصى شمال

---

[1]– الأُرْجُوَان شجر من الفصيلة القرنية له زهر شديد الحُمرة حَسَن المنظَر وليست له رائحة

صبغ أحمر قانٍ يميل إلى البنفسجيّ ، يُستخرج من بعض الأصداف صبغ الثَّوب بالأُرْجُوان

الأُرْجُوان :الحمرةُ

الأُرْجُوان :الثِّيابُ الحمر

أَحمر أُرجوانيٌّ :قانئ

أرجوان :صبغ أحمر كان الأقدمون يتخذونه من صدفة « المورکس ». وقد برع في صناعته سكان « صور

سوريا حتى جنوب فلسطين مثل صور، صيدون (صيدا)، بيروت، جبيل، أوغاريت، الاسكندرون، عكا... كما أنها ضمت مدينة قرطاج ..

أشهر المدن التي أقامها الفينيقيون

صيدا

يعود تأسيس صيدا (sidon) إلى حولي الألف الثالث قبل الميلاد، يقول الباحث جوستان (Justin) "حالما استقر الفينيقيون على أقرب شاطئ بحري بنوا مدينة أطلقوا عليها اسم صيدا بسبب كثرة السمك...لأن السمك عند الفينيقيين يعتبر صيدا"[1]. ونظرا لموقعها الاستراتيجي اتخذها الفينيقيون عاصمة لهم، انطلقوا منها ليؤسسوا محطات تجارية في دول عديدة و قد أثبت علماء التاريخ أن الفينيقيين وصلوا إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية كما أنهم سبقوا كريستوفر كولومبس في اكتشاف القارة الأمريكية الشمالية بقرون عديدة. عرفت مدينة صيدا بتجارتها التي سيطرت على المنطقة خلال القرن الثاني الرابع عشر إلى الثاني عشر قبل الميلاد[2].

جبيل (بيبلوس Byblos): اشتهرت جبيل بمكانتها الدينية و التجارية، "ولعل أهم الاكتشافات الأثرية التي توصلت إليها التنقيبات في جبيل العثور على الأبجدية الفينيقية، فقد وجدت مكتوبة على صخرة بها أسماء بعض ملوك جبيل مثلــ شفط بعل وإيلي بعل..ويعود تاريخ هذه الكتابة إلى القرن العاشر قبل الميلاد"[3]. من الآثار الفينيقية الموجودة في مدينة جبيل: بقايا البوابات و الأسوار المحصنة للمدينة، و عدة هياكل و مقابر ملوك جبيل التي تقع تحت الأرض.

صور: يتجلى الدور الحضاري الذي قام به سكان مدينة صور في قدرتهم على ربط العلاقات بين شرق البحر المتوسط وغربه واكتشاف المحيط الأطلسي، ونقل الكتابة الأبجدية إلى الأمم التي تجاورهم[4]. انطلق منها الفينيقيون بقيادة الملكة أليسار و هي ابنة الملك ميتينوس، ليؤسسوا مدينة قرطاج، في شمال أفريقيا. أحرزت صور تقدماً في مجال التجارة مما جعلها تتفوق على صيدا.

بعلبك: أنشأها الفينيقيون في أوائل العام 2000 ق.م فبنوا فيها أول هيكل الذي أهدى لإله الشمس، بعل. و من هنا حصلت المدينة على اسمها. لكن الهيكل لا يمكن رؤيته الآن

---

[1]- محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992،

[2]- المرجع نفسه،

[3]- المرجع نفسه،

[4]- المرجع نفسه،

بسبب الأعمدة الرومانية التي بنيت فيما بعد في بعلبك. كانت بعلبك، على عكس المدن لأخرى، معزولة عن التجارة.

قرطاج: أسستها الملكة أليسار. عرفت قرطاج بعاصمة المجد و ملكة البحار بسبب ما احتلته من مكانة عالية من الرقي و التمدن و الازدهار. امتازت هذه المدينة بالحيوية و البراعة و الإبداع. استطاعت أن تسيطر على المستعمرات المغربية كما أنها لعبت دورا حضاريا" في شمال أفريقيا و جزر البحر المتوسط و بريطانيا.

المعتقدات الدينية عند الفينيقيين

اعتمد الدين الفينيقي السامي الأصل على الاعتقاد بظاهرة الخصوبة و الإنتاج. آمن الفينيقيون ببعض قوى الطبيعة التي أحاطت بهم، كما أنهم عبدوا الكثير من الآلهة. كان لكل مدينة إله يعبد. سمى الفينيقيون بعض آلهتهم نسبة إلى المدن التي أقاموا فيها.

و من الآلهة التي عبدها الفينيقيون و قدسوها: إله القوى الكامنةالإله إيل)، آلهة الخصب (عشتار)، إله المطر (الإله بعل)، الإله (أشمون)، الإله إيسيس)أما في قرطاج، فقد عبدوا آلهة الخصوبة و الإنتاج (تانيت)، و الإله (بعل آمون) بالإضافة إلى الآلهة التي عبدت في بلاد الشام. و قد استمرت عبادتهم حتى العهد الروماني.

اعتقد الفينيقيون بالحياة الثانية فبنوا مقابرهم التي وضعوا فيها الميت بالإضافة إلى أدوات خاصة به للاعتقاد بأنها ستلزمه عند قيامه في الحياة الثانية. و قد امتازت هذه الأدوات بالبساطة فضمت بعض الأدوات المنزلية التي كان يستعملها الفينيقيون كالأواني الفخارية و المصابيح الزيتية. إلى جانب المقابر، شيد الفينيقيون معابد امتازت بالتأثر بالطابع اليوناني و قد اهتم بها الكهنة المتفرغون الذين عرفوا بتوارث الكهانة في عائلتهم.

نظام الحكم في فينيقيا

تألفت فينيقيا من عدة ممالك و ضمت كل مملكة مدينة اعتبرت عاصمة لها. عرف نظام الحكم في فينيقيا الملكي الوراثي حيث كان يمثل الملك الآلهة و له السلطة المطلقة في إدارة شؤون المملكة التي يحكمها. أما كبار المدينة و رجال الدين و القضاة فلعبوا دور مساعدي الملك في إدارة المملكة. أما الجيش فقد تكفل بحماية المملكة و تأمين القوافل التجارية ..

إنجازات الفينيقيين

1- اختراع الأبجدية: التي تعد من أعظم ما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية. ابتكرت هذه الكتابة عام 1100 ق.م و قد تألفت من 22 حرفا" يمثل كل واحد منها صوت معين. سميت أيضا بأبجدية جبيل. وقد سُبقت هذه الكتابة بعدة كتابات أخرى كالكتابة التصويرية التي ظهرت في واد النيل والكتابة السومرية في جنوب الرافدين[1]، وقد استعان الفينيقيون بهذه الكتابات ثم طوروها مع مرور الزمن. في البداية، كانت تكتب هذه الحروف على ألواح من الطين أو الفخار ثم فيما بعد، كتبت على أوراق البردى المصرية. لقد كتب الفينيقيون هذه الحروف من اليمين إلى الشمال (مثل العربية) و نشروها في جميع بلاد العالم شرقا و غربا؛ ساهم في نشرها قدموس الصوري [2]. وقد أكسب اختراع الأبجدية فينيقيا مكانا هاما في تاريخ الحضارة. "وتميز الأبجدية الفينيقية بتأثر اليونان بها عندما أخذوا حروف الكتابة الفينيقية وأضافوا إليها رموزا جديدة لتتلاءم مع طبيعة كتاباتهم"[3].

2- اكتشاف الصباغ الأرجواني: كان الفينيقيون أول من اكتشف اللون الأرجواني فاستخرجوه من أصداف المريق و هي نوع من المحار وجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية. أدخل الفينيقيون الصباغ الأرجواني على أقمشتهم فاشتهروا بصناعة الأقمشة الأرجوانية اللون.

3- صناعة السفن :كانت السفن الفينيقية عبارة عن مراكب شراعية تتألف من سارية واحدة، شراع مربع، و مجاديف يدوية. اعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم وأسفارهم و تبادل صناعاتهم مع الدول الأخرى المجاورة لها و البعيدة عنها.

الأدب

كل ما يذكره المؤرخون عن الأدب الفينيقي لا يتجاوز بعض الأساطير المتعلقة بالخلق عند الفينيقيين والمناظرات الأدبية التي تمتثل في النزاع السنوي بين إله النبات عليان بعل وخصمه موت. ظلت في التراجم الإغريقية. ومنذ عام 1929م تمت اكتشافات مهمة في موقع أوغاريت القديمة. وقد أوضحت بعض المخطوطات الدينية التي وجدت على ألواح

---

[1]- محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط،

[2]- قدموس أو قدمُس) باليونانية في الأساطير الإغريقية هو ابن أجينور ملك صيدا الفينيقي وشقيق أوروبا، التي خطفها الإله زيوس كبير الآلهة اليونانية عندما ظهر لها بشكل أسد له جناحان وطار بها إلى مملكته ومن ثم تزوجها وأطلق اسمها على الأرض التي تقع غرب اليونان تكريما لها ومن هنا جاء اسم تلك القارة المعروفة اليوم بقارة أوروبا وبما أنّ قدموس وأوروبا فينيقي الأصل فالأسطورة الفينيقية تقول إنها خطفت من الإله اليوناني وكان على شكل ثور.

[3]-أحمد خريسات وآخرون: تاريخ الحضارة الإنسانية، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1999، ص95.

طينية، بعض الفقرات الغامضة في العهد القديم. وكانت هذه الألواح قد كُتِبت بالخط المسماري بأبجدية تختلف في طرازها عن الأبجدية الفينيقية المعهودة.

الحياة الاقتصادية في فينيقيا

ازدهرت الحياة الاقتصادية في فينيقيا بسبب تقدمها في الصناعة و التجارة و الحرف، "وقد تأثر الفينيقيون إلى أبعد الحدود بالبيئة التي عاشوا فيها واستجابوا لها استجابة كاملة، فشكلت تجارتهم وحياتهم الاقتصادية وحتى الاجتماعية والسياسية، فالنشاط التجاري البحري والدور الذي قاموا به في البحر المتوسط خير دليل على ذلك[1]، فقد عملوا على فعملوا بصيد السمك و الإسفنج و الملاحة و صناعة السفن. كما أنهم برعوا في صناعات عديدة منها صناعة العاج و الزجاج و الأقمشة الأرجوانية اللون و الزهريات الحادة القعر و الفخاريات. ساهم اطلاع الفينيقيين على صناعة الحديد (في الألف الثاني ق.م) في صناعة الخزف. كان الفينيقيون يقلدون الصناعة المصرية مما مكنهم من بلوغ منزلة عظيمة في الصناعة و الفن. بعض هذه الصناعات (الفخار و الزجاج) محفوظة الآن في متحف طرابلس. أما بالنسبة للتجارة في فينيقيا، فقد بلغت أعلى درجاتها و تنوعت الأغراض التي تاجروا فيها فكان منها الصباغ الأرجواني و الأقمشة، الزجاج، المعادن، الفخار، النبيذ، و الأرز والخشب... كل هذه الأشياء كانوا يتبادلونها مع اليونان، إيطاليا، إسبانيا، و الجزر المتوسطية.

كما أنهم خاطروا بالإبحار إلى أبعد من ذلك حتى وصلوا الرأس الأخضر في بريطانيا .أصبحت فينيقيا أحد أغنى و أهم المقاطعات في الإمبراطورية الفارسية و استولى الاسكندر الأكبر على فينيقيا عام 332 ق.م.

[1]- ينظر: أحمد خريسات وآخرون: تاريخ الحضارة الإنسانية،